

خبراء صغار

غسان أبو لبدة



الأطفال أثناء تجهيزهم التربة لزراعتها - غزة 2016.

إنها الثامنة والنصف صباحاً، ينتظرون بحماس في الساحة أمام بوابة المدرسة، إنهم متحمسون ومتلهفون، ينتظرون بفارغ الصبر موعدهم الأسبوعي مع برنامجهم المفضل، وعلى الرغم من حماسهم الشديد فإنهم تمكنوا من الجلوس بإنصات ليستمعوا إلى مهمة جديدة، لينطلقوا في البحث والاستكشاف والعمل.

وما إن سُمح لهم بالذهاب إلى الميدان، انطلقوا خارج الفصل وصعدوا الحافلة ومعلماتهم تتبعهم. معلماتهم اللواتي يعتبرن أن التحديات المقبلة لم تكن سهلة

بكل المقاييس، وبخاصة أنها التجربة الأولى التي ستمكنهن من الانطلاق بالمنهاج الدراسي بوسائل أخرى قد تحرره من إسار التقليد والتلقين.

يمر الأطفال كالكبار تماماً بأكثر خبرات التعلم نجاعة وممتعة، حيث يكون النشاط والفعل هما الأساس، ويبنون عليه ما يتعلمونه، بدلاً من تلقي المعلومات جاهزة. وقد كانت تجربتنا مع أطفال الصف الأول الابتدائي من مدرسة «ب» الابتدائية المشتركة بوكالة الغوث في موضوع «وحدة النباتات» مدخلاً رائعاً لمفاهيم علمية أساسية، وعلى الرغم من أن «التعليم الرسمي» يوضح تلك المفاهيم، إلا أن «حفظها» لا يمكن أن يعوض التجربة الحسية المباشرة التي جسدها مركز الطفل في غزة ضمن برامج قسم العلوم، لاسيما برنامج «خبراء».

ليستكشف الأطفال المشاركون محيطهم وهم يتبعون التكرار والتجربة والخطأ، من أجل أن يفهموا عالمهم ويوسعوا مداركهم.

كان «للدrama في التعليم» الدور البارز ليتعلموا مهارات الاتصال والمفاوضة والاتفاق والتعامل مع المشاعر والصراع من خلال نهج «عباءة الخبير»، فضلاً عما حفزته الدراما من خيال الأطفال وإبداعهم، وما وفرته من متعة.

إن فهم المشكلة أو الموضوع فهماً جيداً هو الحجر الأساس لتخطيط نشاط ناجح وذو فائدة، وقد كانت مهمة الأطفال «الخبراء» المشاركة في تطوير حديقة مدرستهم ومتابعتها والحفاظ عليها. ويقوم المشاركون بتقليد شخصيات أخرى والتحدث مثلها، وتبني مواقفها مثل شخصيات كل من «المهندس



الأطفال أثناء تجهيزهم التربة لزراعتها - غزة 2016.

عندما نقوم بتوعية الطلاب حول المحافظة على البيئة، وكيف يمكنهم أن يعتنوا بهذا الكوكب، وكيف يمكن للمشاركين العمل معاً لتقاسم الموارد، فإننا نعلم أنه لكي تكون لديك الرغبة في الاعتناء بشيء ما، يجب أن تحب هذا الشيء أولاً. إذا لم يكن لدى الطلاب الفرصة للملاسة العالم الطبيعي، فكيف لهم أن يحبوا الزراعة وطهي الطعام وتقاسمه على المائدة، وكيف يمكنهم أن يعتنوا بالبيئة؟

مركز الطفل - غزة



الأطفال يشاركون في غرس النباتات- غزة 2016.

الزراعي - الفلاح - تاجر الخضروات - صاحب المشتل» وغيرها من الشخصيات التي يلتقي بها الأطفال خلال مهمتهم. وقد تحول جزء من باحة المدرسة إلى حديقة تزرع فيها النباتات، وتحتوي على أشجار وشتلات متنوعة مثل الورد الجوري، وشتلات الزيتون، والبذور، والخزامي، والأعشاب المتنوعة.

الخبراء يمارسون المهنة

يشارك الطلاب في إعداد التربة للمحصول القادم، ويتعلمون غرس البذور والتسميد وطرق الحصاد ومواعيده، والعديد من المهارات الجديدة التي يستمتع الطلاب بتعلمها، وهذا هو الحال بالنسبة للطفلة مريم التي تقول: «كل صباح أتابع النبتة التي زرعتها وأرويها بالماء قبل أن أتناول فطوري».

لقد تعلم الطلاب ومعلماتهم الكثير عن كيفية تغذية النباتات، وعن الأشجار وتقنيات القص، ورأينا، أيضاً، فوائد زراعة بعض أنواع النباتات هنا.

إن «مشروع خبراء» أفضل دليل على أنه يمكن للمعلم أن يخلق بطلابه نحو تحقيق أشياء عظيمة. فقد كانت أنشطة المشروع العملية من أفضل الطرق لجعل الأطفال ينتمون إلى الأرض وخضرتها، ومن ثم يقعون في حب الزراعة، ونحاول تعليم السلوكيات الجيدة للأطفال المشاركين، حيث نحاول توعيتهم حول الوقت والمجهود خلال عملية الزراعة؛ بدءاً من مرحلة غرس البذرة حتى قطف الثمرة، الضروريين لإنتاج الأغذية لكي يتفادوا التبذير فيما بعد. عند رميهم بذرة بندورة في السماد نقول لهم: تذكروا، زراعة هذه البذرة، تطلبت منكم شهوراً وشهوراً، رميها في السماد لم يتطلب سوى ثانية واحدة، ولكنكم بفعلكم هذا تخططون لأشهر من العمل.

خارج الصندوق

عندما تصبح الحقائق والمشاتل فصولاً تفاعلية تدرس فيها موضوعات المنهاج الدراسي، يصبح التعليم أكثر ما نفتخر به، ونحلم أن تفتح المدارس فصولاً دراسية تحت ظلال الأشجار، حيث زرعت أنواع متعددة من النباتات الصالحة للأكل، ويتجمع تلاميذ الصف حول كومة قش، والمعلم يشرح درس اليوم عن «النباتات». كما يصبح لدى الطلاب إمكانية التعامل مع الأشياء التي توجد في الطبيعة بطريقة مباشرة؛ إنه نوع من اكتشاف الذات. يمكنهم الاستكشاف والعثور على الأجوبة بأنفسهم، وهذا له تأثير أكبر من أن تقدم لهم الإجابات جاهزة.